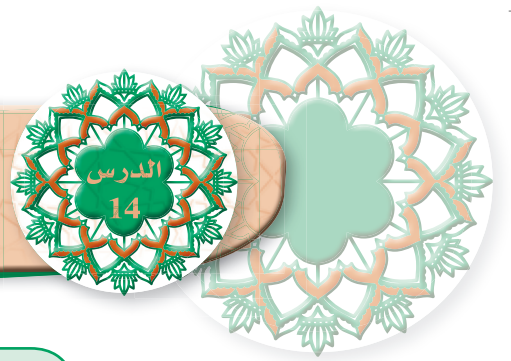


نظريّة المعرفة في الفلسفة الإسلاميّة: مفهومها وموضوعاتها



أهداف الدرس

1. أن أتعرف نظرية المعرفة: مفهومها وموضوعها؛
2. أن أثبت أن أنواعها وتصنيفاتها عند المفكرين المسلمين؛
3. أن أتمثل قيمتها وأثرها الإيجابي في علو همتي وبناء معرفتي.

تمهيد

الإنسان كائن لغوي عاقل، يسمع ويقرأ، يبحث ويفكر، يلاحظ ويستنتج؛ فالتفكير والبحث والنطق والبيان أدواته في تحصيل العلم، ووسائله في المعرفة؛ بناء لمفهومها، وتحديد الموضوعاتها. فما نظرية المعرفة؟ وما موضوعاتها الأساس في فكر المسلمين وفلسفتهم؟

نص الانطلاق

قال الإمام الفارابي: «قصدنا في هذا الكتاب أن نُحصي العلوم المشهورة علماً علماً، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجُمل ما في كل واحد من أجزائه، ونجعل في خمسة فصول: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم، وهي: العدد والهندسة، وعلم المناظر، وعلم النجوم التعليمي، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال، وعلم الحيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه، وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس: في العلم المدني وأجزائه، وفي علم الفقه، وعلم الكلام». [إحصاء العلوم، ص 45]

الفهم

الشرح:

- **العلم الطبيعي:** علم يبحث في الأجسام الطبيعية وأعراضها.
- **العلم المدني:** علم السياسة في تدبير الشأن الاجتماعي.
- **علم الحيل:** فرع من فروع علم العدد والهندسة.
- **العلم الإلهي:** عند الفارابي: ما بعد الطبيعة؛ النظر في الموجودات وأعراضها وبراهين وجودها ودالاتها على موجدِها سبحانه وتعالى.

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النصين مفهوم المعرفة وموضوعاتها وأعراضها.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: مفهوم المعرفة في الفلسفة الإسلامية

تأتي المعرفة بعدة معانٍ منها: إدراك الشيء بإحدى الحواس . العلم مطلقاً تصوراً كان أم تصديقاً . الإدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها. [كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 2/1039]

ونظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية هي: البحث والنظر المجرد في طبيعة المعرفة، ومصادرها، ووسائلها، وحدودها، انطلاقاً من الشرع المسدد والعقل المؤيد؛ فمن أراد النظر في الفلسفة والاشتغال بها فلا بد أن يحصل على قدر من علوم الشريعة، وأن يجعلها حاكمة على هذه الفلسفات والنظريات والمعارف، وأن يكون الشرع هو الأساس المرجعي للمعرفة، من حيث الأصل والبناء والتكوين، والعقل هو الطريق الصحيح إلى الإيمان بالخالق الديان سبحانه وتعالى، من خلال التفكير والنظر والاعتبار في آيات الكون والأنفس والآفاق .

لقد كرم الله الإنسان بالعقل وفضله على جميع المخلوقات بالرشد والتمام، والوحدة والنظام، مزوداً إياه بالفكر المميز، واللغة الواصلة، والعلم النافع، والدين القويم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الشَّجَرَاتِ وَقَضَّيْنَاهُمْ سَلَكًا كَثِيرًا

مَمَّا خَلَفْنَا تَفْضِيلًا [الاسراء 70] يقول العلامة «الطاهر بن عاشور»-مبيناً الفرق بين التكريم والتفضيل-: «فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته. والتفضيل منظور فيه إلى تشریفه فوق غيره. على أن فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه، ودفع الأضرار عنه بأنواع المعارف والعلوم، وهذا هو التفضيل المراد». [التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور 166/15]

وبناء على ما سبق فإن التفكير الراشد له مزايا كثيرة نحدد هنا من خلال النقاط الآتية: إيقاظ العقل من غفوته، وتذكيره بخالقه ومصيره ومآله. تركية العقل وتنقيته من الفكر الدخيل الزائغ والمنتكس، المكدر والمفتت لبنية العقل، والمشتت للأذهان. تنمية العقل بالمعارف والعلوم الشاحذة للهمم، والماسكة بأزمة الأمور، وتلابيها، صقلا ومضاء، قوة وثباتا. تحرير العقل من التقليد المعيب، والاحتذاء المزمّن، المعطل لكل نشاط حيوي يُبقى للعقل مجاله الخاص، للاشتغال والتوظيف وتأسيس المعرفة. [نظرية المعرفة في القرآن الكريم، أحمد محمد حسين الدغشي، ص 324-325 بتصرف]

المسألة الثانية: موضوعات المعرفة في الفلسفة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن المعرفة تختلف موضوعا وأنواعا وأقساما، وتتعدد باعتبارات شتى: فهناك تقسيم باعتبار الفطرة والاكْتِسَاب: معرفة فطرية أولية بدْهية، ومعرفة تجريبية مكتسبة، وهذا التقسيم بمقتضى الاستقرار والتعلم. والملاحظ أن ابن سينا هو من أثر هذا التقسيم على أساس ثلاثة أنواع رئيسية:

- 1- **معرفة بالفطرة**: معرفة فطرية أولية بدْهية لا تحتاج إلى نظر وإجهد- معرفة ضرورية-.
 - 2- **معرفة بالفكرة**: معرفة مكتسبة-نظرية-، تكون بإدراك المجردات المعقدة، والكليات العامة، والانتقاش بها، وهذا النوع يتطلب مجهودا، وإجهدا فكريا.
 - 3- **معرفة بالحدس**: معرفة لا تحتاج إلى كبير عناء ولا وإلى تخريج وتعليم. وتختلف هذه الأنواع بين أصحاب المعرفة في تلقي العلوم وتشرّبها. [النجا لابن سينا، ص 272-273]
- وهناك تقسيم ابن رشد الحفيد- رحمه الله- للمعرفة الإنسانية على أساس ما تنسم به من عموم أو خصوص، إلى قسمين:

أ- معارف عامة، أو معارف أولى؛ وتكون معروفة بنفسها، أو ببادئ الرأي، أو بالطبع والضرورة وهي معرفة أكثر الناس.

ب- معارف خاصة: يعرفها الإنسان بالقياس، أو تكون مشهورة شائعة، وتكون بأتم أنواع النظر، وأتم أنواع القياس، وهو البرهان، وهي معرفة أهل البرهان. [فصل المقال، ص 56-57 بتصرف]

وهناك تقسيم للمعرفة من حيث وضوحها وغموضها: معرفةً بدهية، ومعرفةً نظرية. وأشهر هذه التقسيمات تقسيم المعرفة حسب موضوعها، أو حسب مصدرها، ووسيلة الحصول عليها؛ فقد تناولت المعرفة قضايا وجودية ومعرفية وخلقية، مرتبةً فضلها ودرجتها بحسب موضوعها؛ فأعلاها مرتبة وفضلا معرفة الله وأفعاله ومخلوقاته-العلم الإلهي-، وكل أنواع المعرفة ومراتبها، خادم ووسيلة لهذه المرتبة، يقول شمس الدين ابن الأکفاني: «وهذا العلم هو المقصود بالذات للإنسان في كمال ذاته، وسعادته في دار البقاء، وكل علم سواه إن تعلقت منفعته بأمر المعاد فهو وسيلة إليه، وإن تعلقت بأمر المعاش فهو خدم لما يعدله، وسائر العلوم تستمد منه مبادئها وتفتقر إليه، وهو غني عنها؛ إذ لا علم بعده» [إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص 132-133]

إن فلاسفة الاسلام اختلفت أنظارهم ومواقفهم ورؤاهم وتصنيفاتهم المعرفية، موضوعا ومنهجاً وغاية. وهذا فيلسوف المسلمين على الحقيقة الإمام الفارابي حدد معالم نظريته في المعرفة، فوضع مؤلفاً جمع فيه أصناف العلوم وأحصاها، وبين موضوعها، وغرضها، وغاياتها، علماً وعملاً، مرتباً للمعرفة ترتيباً منطقياً فيقول: «قصداً في هذا الكتاب أن نُحصى العلوم المشهورة علماً علماً، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما في كل واحد من أجزائه، ونجعله في خمسة فصول: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم، وهي: العدد والهندسة، وعلم المناظر، وعلم النجوم التعليمي، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال، وعلم الحيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه، وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس: في العلم المدني وأجزائه، وفي علم الفقه، وعلم الكلام». [إحصاء العلوم، ص 45]

أحصى الإمام الفارابي أنواع المعرفة، مرتباً لها، بدءاً باللسان العربي، وانتهاء بالعلوم المدنية والفقهية؛ انطلق من علم اللسان؛ لأن كل لسان يحتاج إلى معرفة هذا العلم، ليتمكن من التعبير عن أفكاره تعبيراً صحيحاً، كفيلاً بإيضاح هذه الأفكار، وإبلاغها إلى أذهان الناس، ثم علم المنطق لتنظيم الأفكار، وترتيب المعلومات وتصحيحها؛ للحاجة إلى هذا العلم في درس المعقولات، تهذيباً لملكة الاستدلال، وتقويةً لمسالك النظر، وقواعد التفكير، ثم ذكر العلوم النظرية من رياضية وطبيعية، ليستطيع القارئ أن يفهم بعد إدراكه مدلول العبارة، وتفهم أساليب التفكير، ويختم الإمام الفارابي الكلام بالعلوم العملية، من مدنية وفقهية. [من الكندي إلى ابن رشد، ص 86 بتصرف]

يقول القاضي صاعد الأندلسي-عن أهمية كتاب «إحصاء العلوم» في نظرية المعرفة-: «ثم له بعد ذلك كتاب شريف في إحصاء العلوم، والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به، وتقديم النظر فيه. [طبقات الأمم، ص 53] وقد قسم طاش كبرى زادة العلوم إلى سبعة أقسام: هي البيان، والفصاحة، والمنطق، والفلسفة

النظرية، والفلسفة العملية- العلم الايجابي النظري، والعلم الايجابي العملي- وبني حصره لها على «أن للأشياء وجودا في أربع مراتب، في الكتابة، وفي العبارة، والأذهان، والأعيان، وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق؛ لأن الخط دال على الألفاظ، وهذه على ما في الأذهان، وهذا على ما في الأعيان... ثم العلم المتعلق بالثلاث: الأول آلي البتة، وأما العلم المتعلق بالأعيان فإما علم عملي: لا يقصد به حصول نفسه بل غيره، أو نظري: يقصد به حصول نفسه فقط، ثم كل منهما إما أن يبحث فيه من حيث إنه مأخوذ من الشرع فهو العلم الشرعي، أو من مقتضى العقل فهو العلم الحكمي». [مفتاح السعادة، ص75]

التقويم

1. أحدد مفهوم المعرفة وأهميتها؛
2. أوضح مجالاتها وموضوعاتها الرئيسية في الفلسفة الإسلامية.

الاستثمار

يقول الإمام الغزالي: «أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أثبت إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما استجرات عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يَفَاع الاستبصار، وما استفدته أولا من علم الكلام، وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم، القاصرين لِدرَك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخرًا من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفنيسي عن أقاويل الخلق،

من لباب الحق». [المنقذ من الضلال، ص77-78]

أتحدث من خلال النص عن تجربة الإمام الغزالي ورحلته العلمية والمعرفية.

الإعداد القبلي

أبحث عن مصادر المعرفة وحدودها.